بيت "إيگيبي Êigibi " وبيت "موراشو’Murašŭ " *

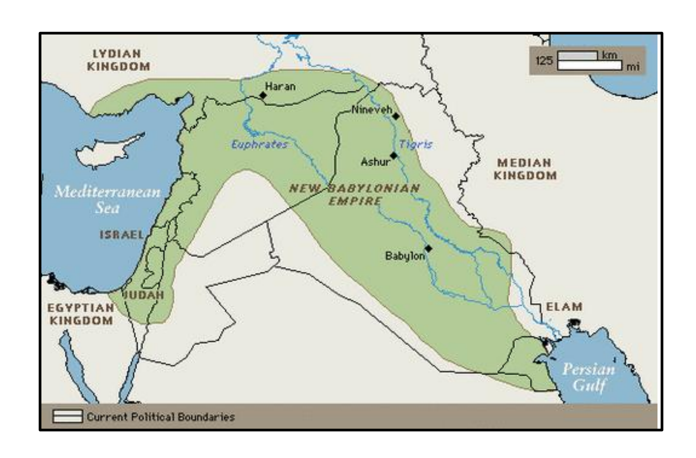
اول الصيارفة ومديرو الاعمال في التأريخ

نصرت آدمو

nasrat.adamo@gmail.com

16/12/2023

ازدهرت حضارة بابل الجديدة في الجزء الأسفل من بلاد ما بين النهرين في القرن السادس قبل الميلاد على يد الملك نبوخذ نصر ومن تبعه من ملوك هذه السلالة. وقد تسلق البابليون في حضارتهم هذه سلمًا صاعدًا من التطور طوال القرون الأربعة عشر السابقة منذ تراجع دوري بابل القديمة ودويلات المدن السومرية اللتين قامتا بحفر شبكات معقدة من قنوات الري وأنشاء أول نظام زراعي شامل في العالم. وقام البابليون حينها بإدارة وصيانة ما وصل اليهم من تراث بكل مهارة وذكاء وعمل دؤوب وامتدت حدود امبراطوريتهم حتى وصلت شواطئ البحر الأبيض المتوسط غربا وحدود مملكة الميديين شرقا كما مبين في الشكل التالي.



ونتيجة لذلك تمتعت بابل بثروة وازدهار متراكمين وانتشر نفوذها في جميع أنحاء الشرق الأدنى إلى الغرب وكذلك وادي السند إلى الشرق من خلال التوسع وتبادل السلع والأنشطة التجارية. وكان ولابد أن يكون لهذا الاقتصاد المزدهر من أطر قانونية وتجارية لدعمه وإنجاحه، وشمل ذلك جمع الضرائب والرسوم المفروضة على استخدام قنوات الري وغلة المحاصيل والواردات والصادرات علاوة على تنظيم المعاملات التجارية مثل البيع والشراء وتأجير الأراضي وتنفيذ العقود.

*** قمت بنشر هذا المقال لأول مرة باللغة الإنكليزية في عدد أيار 2022 من مجلة Tower and Town التي تصدر في مدينة مارلبره في بريطانيا وانشره اليوم باللغة العربية مهديا إياه الى اخي العزيز الأستاذ شكيب الصراف (مدير عام البنك المركزي العراقي في الموصل سابقا) مع خالص التمنيات القلبية له بالصحة وطول العمر**

يضاف إلى كل ذلك نشاطا رئيسيا يتمثل في ترتيب واسترداد القروض. وللقيام بهذه المهام المهام يبدو أن عائلتين قد برعتا في هذه الأعمال هما عائلة بيت "إيگيبي Êigibi " وبيت "موراشو' Murašŭ "، وهما أول من قام بتقديم الخدمات المصرفية وإدارة الأعمال في تاريخ العالم. وامتد عمل هاتين العائلتين على مدى خمسمائة عام تقريبًا، مما جعلهما نماذج أولية مبكرة لـبيت "روتشيلد Rothschild" وكُتاب العدول في يومنا هذا. تم الكشف عن قصة "عائلة إيگيبي " لنا بمحض الصدفة عندما تم اكتشاف الأرشيف السري لعائلة "إيجيبي" في عام 1874. وتبين من التدقيق في الوثائق المكتشفة أنها مستندات تسجل كافة أنواع المعاملات التجارية والمالية وتحمل أسماء المتعاقدين والشهود مكتوبة على الواح الطين. ومن بين ما كان يظهر دوما من هذه الأسماء اسم " إيگيبي" بصفته من قام بأبرام العقد او شاهد عليه فهو اسم ابن أو حفيد أو سليل لشخص يدعى "إيگيبي" والذي من الواضح أنه كان مؤسس شركة تمتلك ثروة ونفوذًا هائلين و من خلالهما تعاملت أجيال عديدة خلال عدة قرون في الشؤون المالية من كل حجم ونوع ، بدءًا من إقراض عدد قليل من ألمنّات *manehs* ** إلى تسليف العديد من ألتالنتات *talents* ***، ومن القيام بدور الشاهد على وصية خاصة أو إبرام عقد بيع أو شراكة بين المواطنين العاديين في بابل أو بعض المدن المجاورة الى جمع الضرائب من مناطق تزرع بأكملها لصالح الحكومة. ونظرًا لأن هذه الوثائق التي تندرج تحت الفئة المعروفة باسم "ألواح العقود" كانت مؤرخة بعناية وتوضح اليوم والشهر والسنة للملك الحاكم في حينه فقد أمكن عمل جدول لأنساب هذه العائلة إبتدائا برأسها الذي يبدو أنه أخذ أبنائه واحفاده عمومًا في شراكة متينة في كافة الاعمال خلال حياته وبعد مماته. ويبين هذا الجدول أن المؤسس ألاب "إيگيبي" ربما كان على رأس البيت في عهد الملك الآشوري سنحاريب حوالي عام 685 ق.م خلال فترة خضوع بابل له. وقد خلصت دراسات بعض الألواح إلى أن اسم " إيگيبي" يعادل الاسم العبري "ياكوب YakÛb" او (يعقوب)، ومنه يُستنتج أن المصرفي الكبير لا بد أنه كان يهوديًا، وربما كان أحد أولئك الذين أسرهم الملك الآشوري سرجون الثاني (705- 721 ق.م) من بلاد السامرة، وكان في العديد من الألواح ايضا أسماء يهودية منقوشة عليها بشكل لا لبس فيه. و كشفت عدة نصوص في هذه الالواح أن بيت " إيگيبي وأولاده" وصلوا ذروة الثروة والسلطة في عهد الملك البابلي نبوخذ نصر (605-562) قبل الميلاد أي بعد قرن واحد من التأسيس صامدين بوجه عواصف الحصارين الآشوريين لمدينة بابل خلال فترتي حكم الملك سنحاريب والملك آشور بانيبال وكان عليهم أن يمروا سالمين عبر عدة أزمات سياسية مماثلة محميين بموقعهم الاستثنائي الذي جعلهم مفيدين لا بل وضروريين للغاية بحيث لا يمكن أن يصيبهم الضرر.

**** ألمنّه maneh وحدة من وحدات الوزن وتساوي 60 شيكل الذي يعادل بدوره 8.40±0.34 غرام تقريبا**

*****التالنت talent ويساوي 3600 شيكل أي ما يوازي 30.2±1.2 كيلوغرام**

ولم يكن بيت "إيگيبي وأولاده" العائلة الوحيدة في بابل التي مارست الأعمال المصرفية وإدارة الأعمال، فقد كشفت الأدلة التاريخية المستندة إلى المكتشفات الأثرية التي يرجع تاريخها إلى عام 1893 في آثار نيبور عن وجود عائلة أخرى مشابهة الى "بيت إيگيبي" كانت تمارس اعمالاً مماثلة خلال القرن الخامس قبل الميلاد. وقد تم التعرف على نصوص من سجلات بابلية متأخرة تعود الى بيت لادارة الاعمال والصيرفة يطلق عليه اسم بيت "موراشو أبناء نيبور Murâŝŭ Sons of Nippur ". وكان "موراشو Murâŝŭ " هو الجد الأكبر لعائلة "موراشو Murâŝŭ" وهي عائلة يهودية من نسل من جيء بهم الى بابل في السبي البابلي ولكنها كانت واحدة من العديد من العائلات اليهودية التي اختارت البقاء في بابل بعد استيلاء الملك الفارسي كورش الكبير على بابل في عام 539 قبل الميلاد الذي سمح بعودة اليهود إلى موطنهم الأصلي بموجب مرسومه الخاص بذلك في عام 538 قبل الميلاد. ويذكر بأنه تم انتشال عدد كبير من الأدلة الأثرية الخاصة بالعائلة من منزل في نيبور وذلك في بقايا قاعة صغيرة يبلغ طولها عشرون قدما وعرضها عشرة اقدام وضمت حوالي 800 لوح طيني تشكل أرشيف "موراشو وأولاده ". وحقيقة الامر أن البيت المصرفي " موراشو وأولاده Murâŝŭ & Sons" أجرى أعمالًا تجارية مع العديد من العملاء بما في ذلك اليهود الذين قرروا البقاء في نيبور بدلاً من العودة إلى موطنهم الأول مما يشير إلى أن الحياة في نيبور التي رزحت تحت السيطرة الفارسية آنذاك كانت على الأقل مقبولة إلى حد ما بالنسبة لليهود. وتم التعرف على رجال العائلة على أنهم مصرفيون وسماسرة ومدبرون للعقارات قاموا بأعمال تجارية مزدهرة وشاركوا في عمليات إقراض الأموال والتجارة وتحويل الأموال في جنوب ووسط مدن منطقة بابلونيا لمدة خمسين عامًا اعتبارًا من نهاية القرن الخامس قبل الميلاد.
ونظرًا لكونهم من ذوي المسؤولية فقد كان عليهم تسجيل كافة عملياتهم على الواح الطين كما درجت العادة مكتوبة بدقة بالأحرف المسمارية كما كان عليهم حفظها بصورة مرتبة للرجوع إليها في المستقبل. وقد كان الأعضاء الرئيسيون في الشركة هم جميعا من نسل "موراشو" وقد وثقت النصوص المكتشفة أربعة أجيال منهم.

تضمن التوثيق القانوني للأرشيف أمورًا عديدة ومتنوعة منها ما يتعلق بالناس الأقل ثراءً من سكان نيبور او من الذين يعيشون في الاطراف الخارجية للمدينة واريافها ومنها ما يخص مصالح القصر الملكي التي تتمثل باستئجار الأراضي الزراعية الواسعة وجباية الضرائب المختلفة عنها، هذا بالإضافة إلى إدارة عقارات المسؤولين المرتبطين بالحكومة والنبلاء. وقام بأعمال هذا البيت المصرفي في البداية الأب والأبناء ثم تبعهم الأبناء مع الاحفاد بعدهم، وكانوا جميعا في غاية الدهاء والذكاء مما امكنهم من التعامل بصورة مرضية مع جميع عملائهم سوآءا من البابليين او

من الفرس واليونانيين والميديين واليهود وغيرهم من الأفراد الذين يمثلون الطابع المختلط من سكان بابل في ذلك الوقت. اما التعاملات المسجلة والموثقة بصورة قانونية فقد كانت متنوعة شأنها شأن هذا الخليط من الأجناس. ومما جاء من تلك الاعمال على سبيل المثال لا الحصرالقيام بفحص المجوهرات والتأكد من عدم الغش فيها والمصادقة على العقود منها عقد يتعهد فيه صاحب كورة اللِبن تسليم 25240 قطعة من اللِبن الطيني المفخورخلال فترة زمنية محددة وكذلك عقد اخر ينص على قيام ثلاثة إخوة باستئجار عدد من الثيران لمدة ثلاث سنوات ويوافقون فيه على أن يصبحوا مسؤولين عن دفع الدين بصورة فردية اومجتمعين أيضا، ومن عقود الايجار التي ورد ذكرها موافقة مستأجر على دفع 25 حمولة من التمر و60 كيسًا من الدقيق وكمية من لحم الضأن وجرة من أفضل أنواع النبيذ مقابل استئجار حقل وإسطبل.

وهكذا كانت بابل مركز العالم المتحضر وتمتعت بالوضع الاقتصادي والتجاري الأكثر تقدما في ذلك الحين، بينما كان كل من الاقتصاد والتجارة إضافة الى الأحوال الشخصية خلال هذا العصر الذهبي تُدار وتوثق من قبل عائلات مثل "بيت إيگيبي" و"بيت موراشو" الذين عملوا بكفاءة لأجيال عديدة واسسوا للعديد من الاعمال المصرفية مثل اصدار السندات والاذونات المصرفية وتحويل الأموال من مدينة الى أخرى في التبادلات التجارية عبر الوكلاء إضافة الى توثيق تعاملات البيع والشراء والايجار ومعاملات الإقراض وتسديدها مع الفوائد وحتى الأمور المتعلقة بالاحوال الشخصية بصورة قانونية مقبولة امام المحاكم.

إن الكشف عن أرشيف هاتين العائلتين وارشيفيهما لا يمنع من إمكانية اكتشاف ارشيفات أخرى لعائلات كثيرة شبيهة بهماوذلك باستمرار التنقيبات الاثرية في بلادنا مهد الحضارات.

المصادر

1. Ragozin A, Z. “Media, Babylonia, Persia- From the fall of Nineveh to the Persian War”. 1903, PP 244-250 Published by G P Putman’s Son London. 1903
https://archive.org/stream/mediababylonand00ragogoog#page/n11/mode/2up

2. Adamo N. “History of Irrigation and agriculture In the Land of the Two Rivers”. PP 150-153. 2019

https://www.academia.edu/44640855/Nasrat_Official_Complete_Copy_History_of_Irrigation_and_agriculture_in_the_Land_Between_the_two_Rivers

3. Stolper M. “Entrepreneurs and Empire. The Murašû Archives, The Murašû Firm, and Persian Rule in Babylon”. Nederlands Institut voor het Nabije Ooste,. Liden 1985

https://www.academia.edu/23450661/Entrepreneurs_and_Empire_the_Mura%C5%A1%C3%BB_Archive_the_Mura%C5%A1%C3%BB_Firm_and_Persian_Rule_in_Babylonia_PIHANS_54_